دراسات في جغرافية المملكة العربية السعودية

...(مدينة بريدة)...

للدكتور عبد الرحمن الشريف

بريدة قاعدة امارة القصيم واكبر مدنها واكثرها نشاطا وحيوية بل هى ثاني مدينة في وسط شبه الجزيرة العربية بعد مدينة الرياض ٠ وتقع على بعد ٤٥١ كم في شمال غرب مدينة الرياض وعلى بعد ٥٠٣ كم شرق شمال شرق المدينة المنورة ، وتقع في شمال نجد في وسط المسافة بين ساحلى الخليج العربى والبحر الاحمر تقريبا ، ويمر منها خط عرض ٢٦

ينحدر سكان بريدة من قبائل شتى اشتهروا في الماضى بتجارة الابل ، وقد تطورت تجارتهم فيما بعد فشملت مختلف انواع السلع قديمها وحديثها ٠ لكنها نالت شهرة تجارية خاصة منذ منتصف القرن الحالى حيث كانت تصل اسواقها البضائع الاجنبية عن طريق الكويت سالكة طرق القوافل القديمة بالسيارات قبل عهد الطرق المعبدة ، فكانت السلع تباع في أسواقها ارخص من اى مكان آخر في المملكة ٠

بريدة في التاريخ :

عرفت بريدة كمورد ماء منذ زمن بعيد قد يعود للعصر الجاهلى ، وقد عرف هذا المورد في صدر الاسلام باسم « عكيرسة » ٠قال ياقوت الحمودى « بريدة تصغير بردة ، ماء لبنى ضبينة ، وهم ولد جعده بن غنى بن اعسر بن سعد بن قيس بن عيلان عبس ، ٠٠٠ ويوم بريدة من ايامهم » (١) ٠

فالذى ذكره ياقوت اذن هو منهل ماء في موضع المدينة اليوم ٠ وقد اهمل ذكر بريدة في القرون الوسطى ولم يبعث الا فى القرن العاشر (٢) الهجرى ٠ وقيل ان الذى اكتشف ماء بريدة من جديد هو « راشد الدرينى » واستغلها وعمر حولها ، وبنى أول سور حولها ، وقد سمى السور باسمه فيما بعد وبقى حتى سنة ١٥٧٠ م (٢) ٠ جاء راشد من ثرمدا وهو من اسرة العناقر ٠

شكل رقم ١

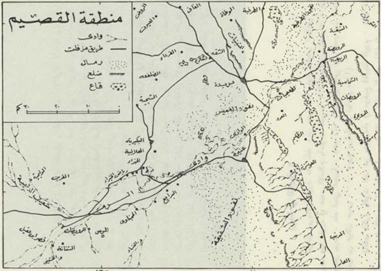
منطقة القصيم
وادي
طريق مزفلت
رمال
ضلع
قاع
١٠
٢٠
٣٠ كم
الروض
العيون
الفاف
الوطاة
الطرفية
نفود الطرفية
الشقيقة
الشقة
الفرعاء
الضلفعه
الشبيبات
بريدة
الشيحية
الرويضة
الربيعية
الشماسية
الروضات
الديرة
أم سدرة
العكيرشة
نفود الغميس
العود
الظلم
الوادي
عنيزة
البكيرية
الهلالية
الخبراء
رياض الخبراء
القرين
الرفيعة
شعيب الثنية
البدائع
المذنب
الرويضات
البصر
الشنانة
قصر ابن عقيل
و. الخضيري
و. الشاد
المريع
العوشزية
نفود الشقيقة
المذنب
العار
٢٦,٣٠
٢٦
٤٣,٣٠
٤٤

ويعتقد ان اصل بريدة كموقع مأهول يرجع الى عهد الدرينى ذلك أى الى القرن العاشر الهجرى واواسط القرن السادس عشر الميلادى · ومن بقايا ذريه الدرينى آل ابى عليان الذين لهم ذكر فى تاريخ بريدة حيث كانوا امراءها ومنهم آل حجلان وآل عرفج وغيرهم · وقد بنى حجلان حول البلدة السور الثانى بعد تهدم السور الاول ، وقد بقى محيطا بها حتى عام ١٧٠٠ م ثم بنى سور حسن الذى استطاعت جيوش ابراهيم باشا اجتياحه في مطلع القرن التاسع عشر · وقد انحطت البلدة وتقهقرت على اثر هذا الاجتياح وبقيت كذلك طيلة فترة الاحتلال التركى ــ المصرى عليها ·

وقد تعرضت بريدة خلال القرن التاسع عشر لذبذبات شديدة بين التوسع العمرانى والانكماش لعدم استقرار الاوضاع السياسية ، وتقلب المسؤولين عليها وتغيرهم ، فكانت تزدهر وتتقدم احيانا وتخبوا وتتقهقر احيانا اخرى · وكان آخر أمرائها من آل ابى الخيل من عنيزة (٤) حينما اتبعت للدولة السعودية الحديثة في مطلع القرن العشرين ، وقد شيد حول المدينة سور جديد بقى حتى اندثرت اثاره نتيجة موجة التوسع الحديث منذ نحو ربع قرن ، كما شيد قصر منيع لسكن الامير واتباعه · وقد اتخذت بريدة منذ ذلك الوقت قاعدة لاقليم القصيم الواسع والعامر بسكانه والغنى بزروعه وقطعانه ، وبقيت كذلك حتى الان ·

عندئذ فقط ولاول مرة بدأت بريدة بالنمو المطرد والتوسع المستمر ، حتى اصبحت مدينة كبيرة تفوق في عدد سكانها جميع مدن المنطقة الوسطى ما عدا الرياض · وهى تزيد عن مثلى مدينة عنيزة (المدينة الثانية فى القصيم) فى مساحتها وعدد سكانها · ويتبع بريدة اداريا جميع مدن وقرى وهجر القصيم ما عدا مدينة عنيزة وما يتبعها ·

الموقع الجغرافى لمدينة بريدة :

يعتبر الموقع الجغرافي في طليعة الاسباب التى جعلت مدينة بريدة تتبوأ المركز القيادى الذى اطلعت به خلال هذا القرن ·

صحيح أن مدينة بريدة تقع وسط شبه الجزيرة العربية ، وتحيط بها الصحراوات القاحلة من كل جانب ، بل وتكاد الكثبان والعروق الرملية تطبق

عليها من معظم الجهات ، اذ تحيط بها نفوذ الغميس كاحاطة السوار بالمعصم لانها نشأت في وسطها . ورمال الغميس متصلة من جهة الشمال الشرقى بنفود الطرفية ، ومتصلة من جهة الجنوب الشرقى عبر وادى الرمة بنفود صعافيك وهى امتداد طبيعى لنفود السر ، ومتصلة من الغرب بنفود الهلالية . وهذه متصلة من الجنوب الغربى عبر وادى الرمة ايضا بنفود الشقيقة المجاورة لمدينة عنيزة .

كما ان مدينة بريدة تقع في وسط مجموعة من الصفروات الوعرة والتضاريس الصعبة ، تفصل الكثبان المذكورةبعضها عن بعض وتقطعها الى اجزاء. ومع ذلك فانها تقع في نفس الوقت على يسار سافلة وادى الرمة بحيث اكتسب موقعها مميزات جديدة وفريدة من اهمها :

١ ـ كانت طرق القوافل القديمة (قوافل الجمال) تتجنب التضاريس الصعبة . ولذلك استغلت في اغلب الاحيان شبكات الوديان الهامة وجعلت منها طرقا واضحة المعالم سهلة العبور ، خاصة اذا كان الانتقال منها الى احواض وديان مجاورة يسيرا .

فوجود وادى الرمة وشعبه العديدة والطويلة سهل الوصول الى مدينة بريدة، وصارت بريدة مع الزمن عقدة مواصلات لطرق القوافل فى مختلف الاتجاهات . ولذلك عرفت كمحطة في طريق حجاج العراق . ومنذ دخول عهد السيارات صارت بريدة تتصل قبل عهد الطرق « المزفلته » شرقا بالكويت عن طريق الزلفى ـ الحفر ، وتتصل بالاسياح شمالا ، وتتصل بحائل وبعدد كبير من قرى المنطقة شمالا بغرب ، وتتصل عبر وادى الرمة جنوبا بعنيزة فوشم العارض فالعارض ، كما كانت غربا صعدا في مجرى وادى الرمة بالمدينة المنورة وما يليها .

٢ ـ نشا على جنبات وادى الرمة او روافده الدنيا ، كما نشأ في وسط مناطق الرمال الخفيفة عدد من الواحات والخبوب ذات التربة الخصبة والمياه الجوفية الوافرة ، كانت سببا في نشوء المناطق الزراعية الغنية وكانت عاملا اساسيا للاستقرار البشرى . وكانت بريدة قاعدة لتسويق منتجات تلك المواقع البشرية ومراكزا لتزويدها بالحاجات والخدمات .

ولذلك تبوأت مدينة بريدة مركزا قياديا بالنسبة لمجموعة قرى اقليم القصيم .

ومدنه التى تحيط بها وليست بعيدة عنها · اذ أن بريدة تبعد ٣٠ كم عن عنيزة الواقعة الى الجنوب منها و ٤٠ كم عن البكرية الواقعة في الغرب و٩٠ كم عن الرس في الجنوب الغربى · وهذا ما دعا الى اختيارها قاعدة لامارة القصيم حسب التنظيم الادارى في عهد الدولة السعودية الحديثة كما ذكرنا ·

هذه الصفة العاصمية وذلك المركز القيادى ساهما في هذا القرن في جعل اسبقية مدينة بريدة حاسمة بالقياس الى بقية مواقع الاستقرار الاخرى في القصيم، فبدأت تنمو بسرعة تفوق سرعة نمو بقية المواقع الاخرى فتضاعف عدد سكانها بسرعة ، وزادت مساحتها الى عشرات الكيلو مترات المربعة ·

سكان بريدة :

لقد تهيأت لمدينة بريدة فى الربع الثانى من القرن العشرين اسباب الاستقرار وصارت قاعدة لمنطقة واسعة في وسط شبه الجزيرة هى منطقة القصيم ، غنية الى حد ما بمواردها الزراعية والرعوية ، وكانت هذه الموارد هى اهم مجالات الانتاج الاقتصادى حتى ذلك الحين ·

غير أن أعظم مرحلة تطور شهدتها مدينة بريدة تمت في الربع الثالث من هذا القرن ، وهى نفس الفترة التى انطلقت بها المملكة كلها في حركة نمو وازدهار ، والتى نتجت عن التحول الاقتصادى الهائل الذى حل بالمملكة عقب تطور استثمار البترول ·

تحولت بريدة اثر هذه الحركة من بلدة صغيرة لا تتجاوز عدد سكانها بضعة آلاف من الافراد ، كانوا قابعين في بيوت طينية متلاصقة ذات شوارع ترابية ضيقة وغير منتظمة ، يحيط بها جميعا سور طينى ، وكان السكان يعيشون من الزراعة وتربية الحيوانات ، او من التجارة ، تحولت الى مدينة متوسط الحجم يعيش فيها بضعة عشرات من آلاف الافراد ، وظهرت فيها الشوارع العريضة المشجرة والتى ترصع جنباتها المبانى الاسمنتية الضخمة والمعارض والمحلات الكبيرة والمزدانة بمختلف أنواع السلع المستوردة · وأضيئت المدينة بالكهرباء وتوزعت عليها المياه بالانابيب ونشأ فيها مختلف انواع الخدمات · ففى سنة ١٩٦٢م بلغ عدد سكان مدينة بريدة ٣٥٥٠٠ نسمة حسب عملية حصر السكان والمؤسسات التى تمت في صيف ذلك العام · وبعد ١٢ سنة تقريبا تضاعف عدد سكانها ، اذ بلغ

حسب التعداد العام للسكان الذى تم في خريف ١٩٧٤م الى ٦٩٩٤٠ نسمة (٥) ٠ ولا تزال عوامل زيادة ونمو سكان بريدة تعمل بسرعة لا تقل ولا بحال من الاحوال عن سرعة نموهم فى العقد الماضى ٠

وفي حين زاد عدد سكان مدينة بريدة هذه النسبة (نحو ١٠٠٪) خلال ١٢ عاما ، أى بزيادة سنوية تقرب من ٦٪ نجد ان جميع سكان القصيم زادوا بنسبة ٣٨٪ فقط عما كانوا عليه خلال هذه الفترة ٠ وهذا يوحى بان معظم زيادة السكان التى حصلت في الامارة كـــانت في المدن لا سيما مدينة بريدة قاعدة الامارة ٠ وهذا شيء طبيعى حيث ان مدينة بريدة تحولت الى مركز جذب قوى للسكان شأن بقية مدن المملكة الرئيسية التى تتمتع بتوفر مجالات العمل وانتشار مختلف انواع الخدمات الحكومية والشخصية خاصة الخدمات المهنية ، ولو بنسبة تقل عما في المدن الكبيرة ٠ ويؤكد هذه الحقيقة ان نحو ٢٠٪ من سكان بريدة في وقت دراسة خبراء دوكسيادس لها لم يولدوا بها بل كانوا بعداد المهـاجرين اليها (٦) ٠

وقد ادى هذا التوسع في المدينة الى كونها اصبحت تضم من السكان ضمن حدودها اكثر من ٢٢٪ من مجموع عدد سكان أمارة القصيم جميعا في سنة ١٩٧٤م وهذا يعنى انها زادت بنسبة تزيد عما قدر لها خبراء شركة دوكسيادس في نهاية العقد الماضى (فرضوا نسبة زيادة سنوية مقدارها ٣ر٦٪) ٠ وطبقا لنتائج التعداد للسكان لسنة ١٩٧٤ م تحتل بريدة اليوم المركز التاسع من بين مدن المملكة وذلك بعد كل من المدن التالية مرتبة حسب أهميتها العددية : الرياض ، جدة ، مكة المكرمة ، الطائف ، المدينة المنورة ، الدمام ، الهفوف ، تبوك ٠

حجم الاسرة في بريدة :

يشير تعداد السكان لسنة ١٩٧٤ م الى وجود ٨٧٧٤ أسرة في مدينة بريدة ٠ وهذا يعنى ان معدل حجم الاسرة الواحدة يبلغ فيها نحو ٨ أفراد ٠ ويعتبر هذا الرقم كبير جدا ، اولا بالقياس الى جميع المدن الكبيرة في المملكة ، وثانيا بالقياس الى معدل حجم الاسرة في المملكة كلها (بمعدل حجم الاسرة في المملكة ٥ر٧٣ ، نسمة ، في الرياض ٥ر٦ ، في جدة ٥ر٧٦ ، في مكة ٥ر٤ ، في المدينة ٦ر٥) (٧)

وهذا يعنى من ناحية ان مدينة بريدة لا تزال تحوى نسبة كبيرة من فئات

الاسر ذات الاحجام الكبيرة ، ويدل من ناحية ثانية على ارتباط حياة معظم سكان هذه المدينة ارتباطا وثيقا بحياة الريف والبادية ، ومحافظتهم على تقاليدهم الاجتماعية السابقة اكثر من اى مدينة كبيرة اخرى ، والتى من ضمنها وجود الاسرة التى يعيش فيها الاب مع ابنائه المتزوجين في بيت واحد ٠

بريدة بين الماضى والحاضر :

لقد تمثل التغير الذى تعرضت ولا تزال تتعرض له مدينة بريدة في كثير من المظاهر ، ويمكننا اجمال اهمها في النقاط التالية :

١ ــ تطور بريدة فى المجال المدنى :

استمرت بريدة خلال تاريخها الطويل تتصف بخصائص مدن الواحات التى يختلط فيها الطابع المدنى بالريفى ٠ حيث كانت جميع بيوتها الطينية مغلقة على نفسها الا من الابواب والبوابات التى تفتح على الشوارع الضيقة ٠ وتتحلق الاحياء السكنية حول نواة المدينة القديمة وهى حى الجردة والتى فيها المسجد الكبير والاسواق التجارية وقصر الحكم وبعض الساحات الصغيرة التى تقع فيما بينها ٠

وفي منتصف القرن العشرين اخذت تتسع اتساعا كبيرا ولكن هذا التوسع كان توسعا عشوائيا لا يتقيد باى رابط وضابط ، ولم تكن هناك اية جهة حكومية مسؤلة عن تنظيم ذلك التوسع الذى كان يخضع فقط لامزجة الناس واماكنياتهم وحاجاتهم للبناء ٠ وفي ١٣٨١/٣/١٣ هـ (عام ١٩٦٢ م) صدر قرار تأسيس بلدية في مدينة بريدة ٠

غير ان بلدية بريدة بدأت ضعيفة شان كل جديد ، ضعيفة في جهازها الادارى ، ضعيفة في جهازها الفنى ، ضعيفة في امكانياتها المادية والمعنوية ، بحيث تعجز عن تحمل الاعباء الملقاة على عاتقها ٠ ولكنها شرعت تنمو وتقوى حتى اصبحت الان من كبريات البلديات في المملكة ٠

وكان تأسيس بلدية بريدة سابقا لتأسيس وكالة وزارة الداخلية لشئون البلديات والذى تم في رمضان ١٣٨٢ هـ (١٩٦٢ م) (٨) ، لتشرف

على شؤون البلديات والمرافق التابعة لها كمصالح المياه وشبكات المجارى او تصريف مياه الامطار . وتقوم بدور المخطط والموجه والرقيب على جميع اعمال البلديات .

واهم الاعباء التى انيطت ببلدية بريدة منذ تاسيسها : انشاء الشوارع العريضة والمستقيمة وتوسيع القديم منها ، وانشاء الارصفة وتشجير بعضها وانارتها ، وايجاد مواقف للسيارات وميادين على مفارق الطرق . وبناء عدد من المنشآت البلدية مثل دار البلدية ومسلخ فنى وعدد من الاسواق المتخصصة ، مثل سوق الخضار واللحوم ، وتسوير المقابر . واعداد دراسات لانشاء شبكة مجارى ودورات مياه عامة . وقد يكون من اهم نشاطات البلدية في الوقت الحاضر الاشراف على الحركة العمرانية في المدينة وتنظيم الاحياء وضبط حركة توسع البناء وزفلتة الشوارع .

غير ان سرعة نمو المدن السعودية عامة وبريدة خاصة خلال الفترة الاخيرة ، وتغير تركيبها السكانى والوظيفى ، وظهور مؤسسات تجارية وصناعية وانشائية جديدة تطلب جميعها حاجات ووظائف ادارية وخبرات ومهارات وخدمات مختلفة لم يكن لها وجود ، كل ذلك خلق مشاكل في تلك المدن من طبيعية وحجم غير معهودين وفي وضع متفاقم مما جعل البلديات ــ بالرغم من تطورها ــ عاجزة عن حلها قبل ان يستفحل امرها، الامر الذى تطلب تدخل الحكومة لتلافي مضار التوسع غير المقيد والنمو غير المدروس .

لذلك عهد الى شركة دوكسيادس اليونانية ، وهى الشركة التى قامت بوضع مخطط شامل لمدينة الرياض ، عهد اليها القيام بدراسة فيزيقية شاملة للمنطقة الوسطى ومخططات رئيسية لمدنها الكبرى وهى : بريدة وعنيزة والرس والخرج والمجمعة . وبدأت هذه الشركة بتقديم تقاريرها عن مدينة بريدة سنة ١٩٧٣ م .

وقد روعى في مخططات المدينة النهائية تحسين المدينة وتجميلها ، وحل جميع المشكلات التى تعانى منها في الوضع الراهب كالمشكلات السكنية او البيئية او المرورية او نقص الخدمات فوضعت دراسات بتصريف مياه

المطر وانشاء حدائق خضراء وحزام اخضر ، وتنظيم المناطق الوظيفية وترميم هرمي للشوارع والطرق ودراسة خدمات النقل الداخلي وانشاء « مجمعات خدمات الاحياء » . وتقييم المرافق الموجودة كشبكات المياه والكهرباء والمجارى والتليفونات . (٩) وقد انيط ببلدية بريدة تنفيذ المشاريع المتعلقة بالمخططالعام للمدينة التى تعتمدها الدولة، هذا بالاضافة الى جانب وظائف البلدية التقليدية كالقيام بالنظافة العامة ومراقبة الصحة العامة ومراقبة الاسعار والاسواق ومكافحة الغش . فقد قوى جهاز تنظيف المدينة بايجاد عدد من السيارات الاوتوماتيكية للكنس وسيارات شفط المياه القذرة حتى صار عدد العاملين فى القسم الصحى ٢٠٢ عاملا يستعملون ٧ سيارات و ٥٧٠ صندوقا حديديا .

لقد انشأت محطات توليد الكهرباء ومددت انابيب مياه الشرب في بريدة فى وقت مبكر وذلك قبل عدد كبير من مدن المملكة ، وحتى قبل انشاء البلدية بفضل المشاريع الفردية ، والتى لا زالت متمثلة حتى الان بوجود ثمانى شبكات خاصة لتوصيل مياه الشرب ، بالرغم من تنفيذ مشروع مياه الشرب من قبل وزارة الزراعة منذ ١٩٧٢ م .

وقامت البلدية بنزع ملكية بعض البساتين ، وتم تنظيمها وتحويلها الى منتزهات عامة . وكان النطاق الاخضر حول المدينة يتمثل باشجار الاثل المزروعة فى الرمال المحيطة بالمدينة من معظم جهاتها ، غير أن توسع المدينة الحالى اتى على قسم منه لا سيما فى شرق المدينة وجنوبها ولذلك تجرى دراسة تنظيم هذا النطاق .

وتزايد ميزانيتها من ناحية اخرى . ففى حين كان فى بلدية بريدة ٦٢ موظفا فى سنة ٨٦ـ١٣٨٧ هـ ، ارتفع عددهم الى ١٠٣ فى عام ٩٢ـ١٣٩٣ هـ ثم الى ١٥٤ موظف سنة ٩٥ـ١٣٩٦ هـ . وارتفعت ميزانية البلدية من ٢٢٩٠٩٤٢ ريال سنة ٨٣ـ١٣٨٤ هـ الى ٥٧٢٤٢٢٦ ريال سنة ٨٦ـ١٣٨٧ هـ والى ٨٤٦٢٩٥٣ ريال سنة ٨٩ـ١٣٩٠ هـ والى ١٢٠٢٢٧٥٨ ريال ٩٢ـ١٣٩٣ هـ . (١)

٢ ـ التقدم الزراعى فى بريدة ومنطقتها :

يعتبر التقصيم من أهم مناطق المملكة فى ثروته المائية الباطنية

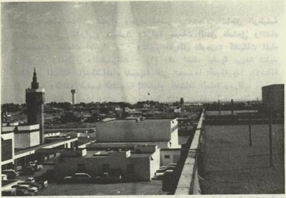

منظر عام لبريدة

مصنع لبسترة الالبان ومشتقاته فى العهد الزراعى

الحبيسة ، خاصة المنطقة المحيطة بمدينة بريده . وقد اكتشفت مياه بريده الباطنية العميقة كما اكتشفت ضخامتها صدفة من قبل أحد الفلاحين اثناء تعميقه البئر القديمة المحفورة فى الصخور الرملية التى تنتمى لتكوين (الساق) فى سنة ١٩٥٤ م .

ثم تتالت عمليات الحفر العميق ومعظمها نجحت فى الحصول على الماء، وتبين أن منطقة بريدة تقع فوق حوض كبير من الاحواض المائية الجوفية، لدرجة أن التوسع الزراعى لم يكن فى مكنته استيعاب جميع المياه المتدفقة من بعض الآبار وجرت على الارض لتضيع سدى بين التسرب والتبخر ، مما أدى الى ابراز مشكلة جديدة هى تملح التربة .

يهمنا من هذه الظاهرة أن الزراعة توسعت تبعا لذلك وتطورت . وزاد فى المنطقة وتنوع . وقد بدأ هذا التوسع فى مطلع النصف الثانى من القرن العشرين ، أى فى وقت ولجت فيه المملكة بشكل عام ومنطقة بريدة بشكل خاص فى مرحلة من التقدم الاقتصادى والتغير الاجتماعى ، فزاد عدد السكان وارتفع مستوى معيشتهم ، وزاد استهلاكهم من المنتوجات الزراعية الجديدة كمختلف انواع الخضروات والفواكه ، وبالتالى زاد الطلب عليها وعلى المنتوجات التقليدية السابقة كالتمور والحبوب .

وقد رافق هذا التوسع فى الانتاج الزراعى تطور مرافق له فى انشاء الطرق المعبدة والطرق الزراعية الممهدة والتى ساعدت الفلاحين على نقل منتوجاتهم بواسطة السيارات من المزارع المتناثرة الى أسواق المدن المجاورة لها ، ومن أكبر تلك الاسواق فى الاقليم اسواق مدينة بريدة ، كما ساعدتهم ايضا على نقل قسم كبير من فائض هذه المنتوجات الى اسواق خارج الامارة كاسواق الرياض والمدينة المنورة بل انهم ارسلوا منتوجاتهم فى بعض الاحيان الى خارج البلاد ، وما تصدير البطيخ والطماطم الى الكويت ودول الخليج العربى فى بعض الاحيان الا صورة لهذه الظاهرة .

يعمل قسم كبير من سكان مدينة بريدة بالزراعة ، وقد وصفت بريدة منذ عهد بعيد فى الادب القديم بانها «مدينة كثيرة النخيل والبساتين » وكانت حدائق النخيل تحيط بها من معظم جهاتها ، واعتبرت ولا تزال من

بين مجموعة المدن الزاعية ، أى المدن التى يعتبر الانتاج الزراعى من اهم المجالات الانتاجية لسكانها . واليوم زادت مساحتها الزراعية كما زادت مساحات القرى الزراعية القريبة منها والمنتشرة حولها .

ومن المؤسف أن لا نملك ارقاما عن مساحات الاراضى الزراعية التابعة لمدينة بريدة أو التابعةللقرى القريبة منها .غير أن نتائج التعداد الزراعى الشامل الذى تم فى القصيم سنة ٧٣ـ١٩٧٤ م أوضحت أن مساحة الارض المزروعة بشكل دائم أو مزروعة بمحاصيل مؤقتة بلغت ٨١١٥٠٧ دونما(١) أى نحو ٨٠٪ من مجموع مساحة الارض الزراعية فى امارة القصيم في ذلك الوقت .

ومن الجدير بالملاحظة أن حدود امارة بريدة الفرعية حسبما وردت فى جداول نتائج التعداد الزراعى المذكور تبدو انها تختلف عن الحدود التى افترضناها عن القصيم لمنطقة بريدة الفرعية ، وذلك حينما حاولنا تقسيم امارة القصيم الى سبع مناطق فرعية ، وبالرغم من أنه لم ينص صراحة فى تلك النشرة عن حدود الامارات الفرعية ، غير أنه يتهيأ لنا انها تضم كل منطقة الاسياح وبعض المساحات من منطقة الرس كالبكيرية ومن منطقة عنيزة كالمذنب ومنطقة الفوارة كعيون الجوى ، وبالمقابل فقد انسلخ عنها قرى الشميسية والربيعية لتشكل امارة فرعية منفصلة (١٢)

ومهما يكن من امر فان هذه الارقام تشير بوضوح الى اتساع مساحة الاراضى الزراعية فى منطقة بريدة ، ليس بالقياس الى اقليم القصيم فحسب ، بل بالقياس الى المساحات الزراعية فى المملكة كلها والتى تبلغ ٣٩٥٢٤٨٠ دونما (١٣) . وهذا يجعل منطقة بريدة وحدها تملك نحو ٢٠٪ من مساحة الاراضى الزاعية فى المملكة . ويمكن أن ندرك اهميتها اكثر اذا علمنا أن جميع هذه المساحة خاضعة للرى وتتم فيها دورات زراعية منظمة . وقد تحسنت اساليب الانتاج الزراعى فيها واستخدمت الالات الزراعية الحديثة واستعمل السماد الكيماوى الى جانب استعمال السماد الطبيعى كما استعملت الادوية لمكافحة الافات الزراعية . وقد ساهمت جميع هذه الاجراءات فى زيادة الحاصلات الزراعية وتحسين نوعيتها .

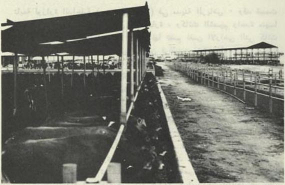

مشروع المشيقح لتربية الاغنام والابقار

٣ ـ الوضع الاداری :

ذكرنا أن مدينة بريدة اختيرت قاعدة لاقليم القصيم منذ زمن بعيد لما تتمتع به من ميزات الموقع الجغرافى · فحينما تم توحيد المملكة العربية السعودية وتأسيس الدولة الجديدة بقيادة المغفور له جلالة الملك عبد العزيز فى عام ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣٢ م ، قسمت هذه المملكة اداريا حسب التنظيم الادارى لعام ١٣٥٤ هـ الى قسمين : الاول : نجد وملحقاتها والثانى الحجاز · تكون الاول من ستة اقسام ادارية فرعية (يطلق على كل واحدة منها امارة) · وكانت القصيم واحدة منها ، واتخذت مدينة بريدة مركزا لهذه الامارة · وكانت امارة القصيم تتكون من أربع امارات فرعية هى : امارة بريدة وامارة عنيزة ، وامارة الرس وامارة المذنب ·

وفى سنة ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م) صدر التنظيم الادارى الجديد الذى الغى التنظيم السابق والذى اصبحت بموجبه جميع امارات المملكة

تابعة لوزارة الداخلية (بعد انشائها) فى مدينة الرياض · وقد قسمت المملكة بموجب هذا التنظيم الى ١٧ امارة ، وكانت القصيم واحدة منها ومركزها مدينة بريدة ايضا · ومع انها تضم نفس الاراضى التى كانت تضمها سابقا الا انها قسمت الى امارتين فرعيتين فقط هما : امارة بريدة وتضم الرس والمذنب والبكيرية والنبهانية والاسياح والشماسية وقصر ابن عقيل وضرية · والامارة الثانية هى امارة عنيزة وتضم القرى المحيطة بها ضمن دائرة لا تتجاوز ومساحتها ٣٥٠٠ كم٢ وعددها عشر قرى ·

ولا يزال التنظيم الادارى لعام ١٣٧٣ هـ متبعا فى المملكة مع بعض التعديلات الطفيفة التى طرأت على حدود بعض الامارات فى سنة ١٣٩٤هـ· حيث ضمت بعض الامارات الصغيرة جدا الى غيرها ، وصار عدد الامارات ١٤ امارة · غير أنه لم يطرأ أى تعديل يذكر على حدود امارة القصيم ·

ومع أن امارة عنيزة هى احدى الامارات الفرعية المكونة للقصيم ، فانها ـ على صغرها ـ تمتعت بوضع ادارى خاص ، مفاده أنه امر عليها منذ ضمت للدولة السعودية فى سنة ١٣٣٨ هـ امير من أبنائها هو يحى ابن سليمان بن زامل السليم · وحصرت الامارة من بعده فى آل سليم ، وذلك حسب اتفاق حصل بينهم وبين السلطان عبد العزيز فى ذلك الوقت· وبقى هذا الاتفاق معمولا به رغم تغير التنظيمات الادارية ، ورغم أن كثيرا من الدوائر الحكومية الحديثة صارت تتبع بريدة في بعضها وتتبع الرياض فى بعضها الاخر (١٤) ·

ومن هنا ظهر فى مدينة بريدة العديد من الدوائر الحكومية الى جانب الامارة حتى تستطيع أن تقوم بهذه الوظيفة الادارية وتهيمن على اقليمها مثل : ادارة تعليم القصيم ، ومديرية الشؤون الزراعية ، ومديريةالشؤن اصحية ، ودوائر الجوازات والجنسية ، ومركز للشرطة ومحكمة شرعية ومركز مطافىء ومكتب العمل والشؤون الاجتماعية والضمان الاجتماعى ومركز بريد وهاتف ومركز هيئة النواب وغيرها ·

٤ ـ التعليم :

بدأ التعليم الرسمى فى مدينة بريدة وفى معظم مدن المملكة الهامة منذ ١٣٥٦ هـ (نحو ١٩٣٧ م) أى قبل اكثر من ٤٢ سنة · وكان ذلك عقب انشاء مديرية معارف تابعة لوزارة المالية تتولى انشاء المدارس والاشراف على التعليم · وفى سنة ١٣٧٣ هـ (١٩٥٤ م) تأسست وزارة المعارف فى المملكة ، وقد انبثق عنها مديريات تعليم موزعة فى الامارات،

فتشكلت ادارة تعليم لامارة القصيم مركزها مدينة بريدة (١٥) · وفى سنة ١٣٨٢ هـ (١٩٦٣ م) انحسر اشراف ادارة تعليم القصيم عن منطقة عنيزة بسبب تأسيس ادارة اشراف على التعليم خاص بها · وفى سنة ١٣٨٤هـ (١٩٦٤ م) بدأ تعليم البنات فى بريدة ومن ثم فى منطقتها ·

ومنذ تأسيس هذه الادارات التعليمية أخذ التوسع السريع فى انشاء المدارس الحكومية من مختلف المراحل التعليمية ومختلف الانواع كالتعليم الاكاديمى والمدارس المهنية ومعاهد المعلمين حتى بلغ عدد المدارس الابتدائية في مدينة بريدة وحدها ٢٩ مدرسة في سنة ٩٢ـ١٣٩٣ هـ ٧٢ ـ ١٩٧٣ م ـ بالاضافة الى ١٠ مدارس متوسطة و ٤ مدارس ثانوية للجنسين · وكانت تضم هذه المدارس ال ٤٣ ، ٩٧١٧ تلميذا و ٣١٧٢ تلميذة فى ذلك العام أى ١٢٨٨٩ طالب وطالبة من الجنسين ، ويبلغ هذا العدد نحو خمس عدد سكان المدينة · ويعود ارتفاع هذه النسبة الى أن عددا من الطلاب جاءوا الى بريدة من اقليمها المحيط بها لا سيما من أجل التعليم الثانوى والمهنى ومعاهد المعلمين ·

طرق المواصلات :

تعود أهمية موقع مدينة بريدة ـ كما أشرنا سابقا ـ الى أنها كانت عقدة مواصلات برية ، وكانت تنطلق منها واليها طرق قوافل الجمال القديمة فى عدة اتجاهات · ومن المعروف أن استعمال السيارات بدأ فى الجزيرة العربية قبل معرفة الطرق المعبدة والمزفلتة · ولذلك حاول السائقون تخير ممرات ومعابر تستطيع سياراتهم اجتيازها مع أقل نسبة من الضرر ، فكانت تلك المسالك ـ فى أغلب الاحيان ـ هى طرق القوافل القديمة · وقد تم انشاء الطرق المعبدة فى هذه المنطقة خلال الستينات والسبعينات من القرن العشرين فكانت فى مواقع الطرق السابقة أو محاذية لها ·

ولذلك حافظت مدينة بريدة على صفة العقدية (Nodality) بالنسبة لوسط شبه الجزيرة العربية وصفة المركزية بالنسبة لاقليم القصيم (Centrality) ، تلك الصفة التى كانت تتمتع بها فى عهد قوافل الجمال ، ولكن بمستوى اكثر ديناميكية · اذ ينطلق من مدينة بريدة

شكل رقم ٢

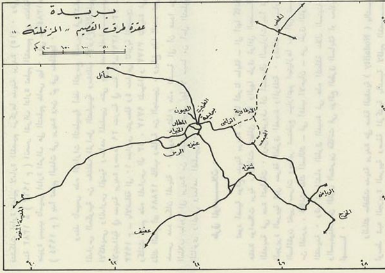
بريدة
عقدة طرق القصيم " المزخلقة "
٠
٥٠
١٠٠
١٥٠
٢٠٠ كم
حائل
العيون
الطرفية
بريدة
المطار
الخبراء
عنيزه
الرس
الزلفي
الارطاوية
المجمعة
الحفر
شقراء
الرياض
الخرج
عفيف
المدينة المنورة
٤٠°
٤٢°
٤٤°
٤٦°
٤٨°
٢٨°
٢٦°
٢٤°

الان ست طرق مزفلتة ، اثنتان منها محليتان وأربعة منها تتجاوز حدود اقليم القصيم وبالتالى فهى تتصل بخارج المملكة هذه الطرق هى :

١ ـ الطريق من بريدة الى الطرفية فى الشمال الشرقى وتفضى الى الاسياح
٢ ـ الطريق من بريدة الى عيون الجواء فى الشمال الغربى ·

٣ ـ الطريق من بريدة الى حائل فى الشمال الغربى وتقع هذه الطريق فيما بين الطريقين السابقتين ·

٤ ـ الطريق من بريدة الى الرياض عن طريق الزلفى شرقا وعبر اقليم سدير جنوبا وهى الجزء الاول من طريق الرياض ـ المدينة عن طريق القصيم ·

٥ ـ الطريق من بريدة الى المدينة المنورة وتتجه غربا الى مليده فالبكرية وهى القسم الثانى من طريق الرياض المدينة عن طريق القصيم ·

٦ ـ الطريق من بريدة الى عنيزة جنوبا ومنها تتفرع طريقان رئيسيتان الاولى تتجه جنوبا ثم جنوبا بشرق الى الرياض أو جنوبا بغرب الى الطائف وهى طريق الرياض القصيم الاسبق والثانية تتجه غربا الى الرس ثم تلتقى بطريق المدينة المنورة (رقم ٥) ·

وقبل وجود هذه الطرق المذكورة بدأت وزارةالزراعة والمياه بانشاء طرق من الدرجة الثالثة تصل المدينة بمعظم القرى والمزارع التابعة لها اطلق عليها اسم (الطرق الزراعية) وقد سهلت هذه الطرق مع الطرق الرئيسية التى انشئت بعدها ربط مدينة بريدة بكافة أرجاء القصيم من ناحية كما سهلت اتصالها واتصال جميع انحاء القصيم بالاقاليم الخارجية الاخرى خاصة بمدينة الرياض عاصمة البلاد ، وبمدن الحجاز الهامة : المدينة المنورة والطائف ومكة وجدة ·

ومثل ذلك بدأ استعمال الطائرات فى المملكة قبل عهد المطارات فى عمليات النقل داخل المملكة العربية السعودية · ونظرا لاهمية القصيم فى المملكة نشأت فيه ثلاثة مطارات ترابية في كل من بريدة وعنيزة والرس ، كانت تنزل بها طائرات الداكوتا الصغيرة الحجم وذات المحركين فى خطوط اسبوعية ثابتة وباتجاهين: الى الرياض والى جدة· وبقيت هذه المطارات حتى

سنة ١٩٦٥ حيث تم افتتاح (مطار القصيم) الذى انشىء فى مكان يتوسط تقريبا مدن القصيم الرئسية وذلك فى قاع (مليدة) الذى يبعد نحو ٣٠ كم فى غرب بريدة والقريب من بلدة البكيرية . وبالتالى الغيت المطارات الترابية السابقة الذكر .

افتتح أول مكتب للبريد فى مدينة بريدة فى سنة ١٩٣٠ م . أما الهاتف فأول عهد المدينة به كان فى سنة ١٩٦١ م حيث اسست شبكة هاتف تدار باليد تخدم ٧٠ مشترك فحسب ، وبها سبعة خطوط خارجية (ضمن منطقة القصيم) يربط اثنتان منها بريدة بعنيزة ويربط ثلاثة منها بريدة بالبكيرية ، وخط يربطها بالمذنب وأخر بالمطار . ثم توسعت الشبكة بحيث أرتفع عدد المشتركين منها الى ٧٠٠ مشترك .

وفى سنة ١٩٧٤ م تم تركيب هاتف اتوماتيكية تخدم ٣٠٠٠ مشترك وفى مطلع عام ١٩٧٨ م تم وصل شبكة القصيم الهاتفية بخطوط المملكة الاخرى . ومن الجدير بالذكر ايضا وجود محطة ارسال تلفزيونية فى مدينة بريدة فيها ستوديو واحد تخدم اقليم القصيم كله .

التطلع الصناعى :

ظهرت بعض الارهاصات الصناعية فى مدينة بريدة فى وقت مبكر بالقياس الى غيرها من المدن نتيجة غيرة وتطلعات بعض شبابها وتضحياتهم فى هذا السبيل . وفى مقدمتها مشاريع الراشد الصناعية والزراعية والمالية المتعددة ، والتى اهمها وارسخها مشروع توليد الطاقة الكهربائية ومشروع صيانة السيارات والرى الاصطناعى .

وكما حصل فى بقية مدن المملكة ظهر فيها العديد من الخدمات المهنية وبعض الصناعات الاستهلاكية الخفيفة . ومن المشاريع الحديثة الهامة فى الوقت الحاضر (مشروع البان المشيقح) ويحوى على حظائر للابقار تتسع الواحدة منها ١٤٥ رأسا . وفيها نوعان اجنبيان هما الجيرسى والفريزيان يقدر عددها بنحو ٣٣٠٠ رأس . انشأت هذا المشروع ولا تزال تشرف عليه شركة بريطانية تستعمل محالب وادوات آلية حديثة . ومن المقدر أن ينتج المشروع عشرة اطنان من اللبن يوميا يخصص نصفها تقريبا لتزويد مدينة الرياض بالالبان . ويقع المشروع فى شمال غرب بريدة .

وقد انشيء على طريق المطار (أى فى شمال غرب المدينة) خزانات ضخمة لحفظ مشتقات البترول تخدم اقليم القصيم بكامله • وتجرى مؤسسة بترومين الان دراسة مشروع انشاء مصفاة لتكرير البترول فى منطقة بريدة تعمل على تلبية حاجة شمال نجد من مشتقات البترول • وسيتزود هذا المشروع بالبترول الخام من خط الانابيب الذى سيتجه من خريص الى ينبع خلال فترة الخطة الخمسية الحالية ، وكذلك سيتزود بالوقود من ذلك الخط • وتدرس وزارة الصناعة مشروعا اخر من مشاريع الصناعة الثقيلة التى ستنشأ فى بريدة هو مشروع انتاج الاسمنت لتزويد الاقليم بحاجته من هذه المادة الانشائية الاساسية •

ومن الجدير بالذكر فى هذا المجال أن المعهد الزراعى فى بريدة استورد ثلاثة مصانع حديثة مرتبطة بالمنتوجات الزراعية هى :

١ ـ مصنع لعصر الطماطم وتعليبها •

٢ ـ مصنع لعصر الزيتون وتعليب الزيت ؛

٣ ـ مصنع لبسترة الالبان ومشتقاتها •

ولكن لم تباشر هذه المصانع الثلاث عملها بعد لعدم تأمين المواد الخام اللازمة لها بشكل دائم •

الهوامش والمراجع

١ ـ ياقوت الحموى ـ معجم البلدان • ج٢ ص ١٥٩

٢ ـ عبد الله بن بليهيد ـ صحيح الاخبار عما فى بلاد العرب من الاثار ج ٤ ، ص ٢٦ •

٣ ـ مؤسسة دوكسيادس ـ المنطقة الوسطى ، بريدة سنة ١٩٧٣ م

٤ـ عبد الله بن بليهد ـ صحيح الاخبار عما فى بلاد العرب من الاثار •

ج ١ ، ص ١٥٤ .

٥ ـ التعداد العام لسكان المملكة العربية السعودية لعام ١٩٧٤ م ١٣٩٤٠هـ

٦ ـ مؤسسة دوكسيادس ـ المصدر السابق

٧ ـ حسبت هذه النسب من أرقام التعداد العام لسكان المملكة لعام ١٩٧٤م

٨ ـ المملكة العربية السعودية ـ وكالة وزارة الداخلية لشئون البلديات . الخدمات البلدية العدد الثانى ٩٥ـ١٣٩٦ هـ . ٧٥ـ١٩٧٦م

٩ ـ شركة دوكسياس . المنطقة الوسطى ، بريدة سنة ١٩٧٣ م

١٠ـ وكالة وزارة الداخلية لشئون البلديات . المرجع السابق .

١١ـ وزارة الزراعة والمياه ـ نتائج التعداد الزراعى الشامل . الجزء الثانى ٧٣ـ١٩٧٤ م ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

١٢ـ عبد الرحمن الشريف في مجلة الخفجى ـ القصيم . العدد ٨ . السنة ٧ تشرين الثانى ١٩٧٧ م .

١٣ـ وزارة الزراعة والمياه ـ نتائج التعداد الزراعى الشامل . الجزء الاول ٧٣ـ١٩٧٤م .

١٤ ـ عبد الرحمن الشريف ـ منطقة عنيزة ص ٢٦٧٦ .

١٥ـ فى حديث لمدير تعليم القصيم الاستاذ سليمان الشلاش فى سنة ١٩٧٦ م